المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠

كلام الملوك

يقول البديعيون كلام الملوك ملوك الكلام. وان صدق هذا القول على كلام احد من ملوك العصر الحاضر فهو يصدق بنوع خاص على كلام ملك الانكليز ولاسيما على الاقوال التي قالها في بعض المجتمعات الكبيرة . وقد جمعت مجلة لندن فقرات كثيرة من اقواله ونشرتها كمقالة بقلمه فحذونا حذوها ونشرنا اقوالاً قالها في بعض المجتمعات العمومية وهو لا يزال وليًّا للعهد واردفناها ببعض ما نشرتهُ مجلة لندن من هذا القبيل

القول الاول

قالهُ لما افتتح مؤتمر علم حفظ الصحَّة الذي التأم في مدينة لندن في العاشر من اغسطس سنة ١٨٩١ وهو :

ان من اسرّ الامور واحبها اليَّ ان افتتح اعمال هذا المؤتمر وارحّب بجميع اعضائهِ ولاسيما الذين وفدوا من اقاصي البلدان . ولقد كان من نصيبي الترأس على اجتماعات كثيرة ولكن هذا الاجتماع افيد منها كلها باجماع الثقات . و يظهر ما لهذا المؤتمر من الشأن العظيم من كثرة اعضائهِ وشهرتهم فانهُ متمتع بحماية الملكة وقائمة اعضائهِ لتضمن اسماء كثيرين من عائلتها واشهر رجال حكومتها واكبر رؤساء المدارس والجمعيات الطبية التي في المملكة البريطانية ونوابًا من كل الممالك العظيمة في المسكونة ومن كل مدارسنا الطبية ومراكزنا الصحية ونوابًا عن مستعمراتنا واكثر الذين اشتهروا في درس المسائل الصحية وملابساتها وهؤلاء كلهم دليل على عظم نفع المؤتمر ولا شبهة في ذلك لانهُ اذا وفى بغايتهِ فنهُ نفع لكل نوع الانسان

واذا التفتنا الى مواضيع البحث فيهِ راعتنا المخاطر الكثيرة المحيطة بنوع الانسان من كل

ناحية . وبعض هذه المخاطر لا مناص منهُ ولكن اكثرها يمكن تلافيهِ او التغلب عليهِ . ولا ادَّعي انهُ يمكنني البحث عن هذه المخاطر كلها ولكنني كنتُ عضوًا في اللجنة المعينة للنظر في مساكن العمَّال ومعاملهم فيمكنني ان اخوض في هذا الموضوع لانني علمتُ حينئذٍ كثيرًا عن المخاطر الناتجة عن ازدياد معاملنا المتوالي وما يترتب على ذلك من ازدحام مدننا وفساد الهواء والماء وتراكم الفضلات والاقذار — علمت ذلك وعلمت ايضًا شدَّة ما نلاقيهِ من المشقة في توسيع اعمالنا او ابقائها على حالتها الحاضرة بدون ان تزيد الاخطار على الصحة والحياة ولاسيما حيث يكثر السكان . وقد كان يُظَن قبلاً ان تلافي هذه الاخطار ضربٌ من المحال ولكنني مسرور بما تم في هذا الشأن حتى الآن من تقليلها وتقليل عدد الوفيات في مدننا الكبيرة وزيادة متوسط العمر التي عمَّت الامة كلها وبامور اخرى كثيرة تشهد بفضل التدابير الصحيَّة . وليس من غرضي الاطالة في هذا البحث فحسبي ان اقول ان ما حدث من النفع حتى الآن وما نراهُ من تزايد معرفتنا بهذه المواضيع دليل على ان النفع سيزيد عظمة وشمولاً وعلى ان هذه الامة وكل الامم الاخرى لا تكتفي الَّا اذا بلغت اسمى الدرجات من النجاح المادي والصحة الاهلية معًا

وستبحث فروع هذا المؤتمر عن افضل الاساليب لتلافي الاخطار المشار اليها في قائمة مواضيعهِ واذا امكن ان تعرف مصادرها وادويتها فذلك امرٌ عظيم ولاسيما اذا جرى البحث على اسلوب علمي خالٍ من كل تسرُّع وتعصُّب ومجرَّد عن كل غاية سياسية او غرض آخر غير اجادة الصحة . وعلى مد النمط فقط يمكن لمديري الدوائر الصحية ان يغيروا ما يريدون تغييرهُ لان كل تغيير يجرونهُ لا بدَّ من ان يضرَّ بالبعض فلا يجوز لهم ما لم يثبت انهُ مفيد للجمهور وحينئذٍ تفضَّل مصلحة الجمهور على مصلحة هذا البعض . وارجو ان لا يقتصر هذا المؤتمر على ما يؤثرهُ في رؤساء الادارات الصحية بل يكون لهُ نفع اعظم اذا علم كل احد من كل الطبقات مقدار النفع الذي ينفع بهِ الجمهور باعتمادهِ على الوسائط الصحية في البقعة التي هو فيها . وقد قلت كل الطبقات لانهُ ما من طبقة من البشر بمأمن من اخطار سوء التدابير الصحية او هي على تمام الاستعداد لمقاومتها ولو كان معظم ضررها واقعًا على الفقراء . ايُّ عائلة لم يصب احد اعضائها بالتيفويد او الدفتيريا او نحوها من الامراض التي يقال انها ممَّا يمكن التوقي منهُ واي عائلة لا تقول "اذا كان التوقي من هذه الامراض ممكنًا فلماذا لم نقونا منها"

وفوق ذلك فان المسائل التي لدى المؤتمر والتي يجب ان يهتمَّ بها كل احد اهتمامًا خاصًّا لا تنحصر في دفع الموت او الامراض الخطرة بل تتناول استخدام الوسائل التي تمكننا من استعمال كل ما يمكننا من القوى الجسدية والعقلية لان النجاح التام الممكن للامة يستدعي

استطاعة كل فرد من افرادها لإتمام كل ما يمكنهُ عملهُ من الاعمال النافعة التي هو مطالب بها من الذين يعيش بينهم . ولذلك يلزم ان يتمتع كل فرد من افراد الامة باحسن صحة واجود عافية ولا يتم ذلك ما لم تُستخدَم كل الوسائل الممكنة لحفظ صحة الامة وإجادتها . وهذا عملكم بل هو عملنا كلنا ولا استطيع ان اطيل الكلام ولا ان اقدم لكم مقالةً من انشائي ولكنني سأراقب اعمالكم وابذل جهدي في تقوية كل ما تثبتون انهُ مفيد للصحة العمومية

القول الثاني

كتابان كتبهما الى السر جون لوز والدكتور غلبرت اعترافًا بفضلهما على البلاد الانكليزية بما افادا بهِ علم الزراعة وقد تليا في احتفال حافل بالعلماء والعظماء في ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣ وهما

الى السر جون لوز الدكتور في الشريعة والشرائع المدنيَّة وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ

انني بالنيابة عن لجنة هذا الاحتفال والمشتركين في المال المجموع لهُ من كل اقطار المسكونة اقدم لك التهنئة القلبيَّة بانقضاء خمسين سنة قضيتها في التجارب الزراعيَّة التي لا شيء يفوقها نفعًا

وهذه التجارب التي انت مبدعها تتعلق بنمو الحبوب والغلال تحت اشد الاحوال اختلافًا ولا تقتصر على ذلك بل تتناول البحث عن نسبة انواع العلف المختلفة الى المواشي وفعلها بها وتركيب الارض الكيماوي ومقدار المطر وماء المصارف ومصدر النيتروجين الذي يغتذي بهِ النبات

وقد عاونك مدة هذه السنين الخمسين صديقك الدكتور يوسف هنري غلبرت الذي سيبقى اسمهُ الى الابد مقترنًا باسمك ونحن نهنئك واياهُ معًا في هذا اليوم

ولقد تكرَّمت ووقفتَ مالاً وافرًا للانفاق على مواصلة التجارب التي قمت بها هذه السنين الطويلة ولذلك سيستفيد خلفاؤنا من اتصالها وربما استفادوا من اعمالك المفيدة اكثر مما استفدنا نحن

ونرجو ان التذكار الذي أُقيم لك الآن يبقى اسمك مقرونًا بالشرف مدى العصور التالية وصورتك التي أُهديت اليك تبقى الى الاجيال الآتية اسم اعلم الرجال الساعين في نفع الجمهور واكثرهم ايثارًا لغيرهِ على نفسهِ (الامضاء) البرت ادورد

الى يوسف هنري غلبرت المعلم في العلوم والدكتور في الفلسفة والدكتور في الشرائع وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ

يستحيل ان يُفرَّق بين اسمك واسم السر جون لوز في الاحتفال بعيد التجارب الزراعية التي جرَّبت في رثهمستد ولذلك فاني بالنيابة عن المكتتبين بالمال الذي أُنفق في هذا الاحتفال

المجموع من كل اقطار المسكونة اقدّم لك التهانئ القلبية بمضي خمسين سنة واصلتَ فيها الاعمال افادةً للعلوم الزراعية. وحقيقة هذه الاعمال وفائدتها معروفتان لدى الجمهور فلا داعي لاطالة الكلام عليهما لكن اذا كان انشاء المعامل التي جرت فيها هذه الاعمال منسوباً الى السر جون لوز فنجاحها منسوب اكثرهُ الى مهارتك العلمية واجتهادك المتواصل وزد على ذلك انك قد اوضحت اساليب هذه التجارب وأسسها العلمية والعملية لاهل هذه البلاد وغيرها من البلدان بواسطة خطبك وكتاباتك. واشتراكك في العمل مع السر جون لوز الذي مرَّ عليهِ الآن اكثر من خمسين سنة ولا مثيل لهُ في تاريخ العلوم. واني ارجو لكما دوام التعاون واثق ان اسمَي لوز وغلبرت اللذين اقترنا مدة هذه السنين الكثيرة يبقيان مقترنين اقترانًا مجيدًا مدى الادهار

(الامضاء) البرت ادورد

القول الثالث

قالهُ عند رفع الستار عن تمثال الاستاذ هكسلي في الثامن والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٠ وهو

ايها السادة والسيدات. اني احسب فخرًا عظيمًا لي أن انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضوًا منهم. ولم انسَ انني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير. ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي. وفضول مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اوافق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين

القول الرابع

نشرتهُ مجلة لندن ولم نقل اين فاه بهِ الملك وجعلت موضوعهُ "لماذا تضيع التجارة من انكلترا"

كان الناس عندنا يعتمدون في التعليم حتى الآن على تثقيف العقل بنوع خاص لكي يتأهل المتعلمون لاستخدام عقولهم في العمل الذي يتولونهُ وقد وجدنا هذا التثقيف العقلي كافيًا بالاجمال الى عهد قريب. ولكن مناظرة الامم لنا في المصنوعات التي كان عملها خاصًّا بنا قد اشتدَّت كثيرًا فان التقدم العظيم المبني على سكك الحديد واستخدام البخار في كثير من الشؤون جعل المواد الاصليَّة التي تصنع منها المصنوعات تتوزَّع في المسكونة وقلَّل النفقات

اللازمة لما يصنع منها . والامم التي لا يكثر الفحم الحجري والحديد في بلادها كما يكثران في بلادنا استعنت بالتعليم الصناعي تمّماً ينقصها منهما ولذلك رأينا المصنوعات تصنع في كل مكان تديرها يد التعليم الصناعي . واقيمت المدارس الصناعية في اوربا واميركا في المراكز الصناعية وهي تعلم العلوم التي تبنى الصنائع عليها . وقد رأت انكلترا الآن ان لا بدّ لها من ان تضيف المدارس الصناعيّة الى مدارسها العمليّة ولذلك فاكثر مدننا الصناعيّة شرع في انشاء هذه المدارس او انشأها ولكنها قلما ارتقت وصارت مدارس صناعيّة عمليّة

ثم ان تغيير الاسلوب التي يتعلّم بهِ الصنّاع وابدال الاعمال اليدية باعمال الآلات جعلا تعليم العلوم اللازمة للصنائع امراً محتوماً على كل الذين يتعاطون الاعمال الصناعيّة . ولم يكن وقت عُرفت فيهِ قيمة التعليم الصناعي مثل هذا الوقت . ويسرّني ان تعضيد الحكومة لتعليم العلوم والصنائع قد سهّل لجمهور الصناع سبل تحصيل العلوم الصناعيّة التي افادت مصنوعاتها وستفيدها اكثر كثيراً .

القول الخامس

قالهُ في منشستر وهو : بادرت عن طيب نفس الى اغتنام الفرصة التي سنحت لي لزيارة هذه المدينة التي لا تفوقها مدينة في الامبراطورية الانكليزيّة في اهميتها التجاريّة ولكي ازيد معرفةً في تاريخها وموقعها ومصادر نجاحها . ولقد سهّل عليّ والداي منذ حداثة سني زيارة عواصم الدنيا وفي ذلك درس جزيل النفع اذ يرى المرء فيهِ اسباب التقدّم والغنى وكنت وانا اعجب بالنتائج العظيمة التي وصل اليها غيرنا اعجب ايضاً بالاعمال البديعة التي انتجها حذق الانسان وصبرهُ ونتجت من ايدي ابناء وطني ورؤوسهم ولاسيما الذين يحيطون بي منهم الآن فلشكر كلنا العناية الالهيّة التي وفّقت مشروعاتنا التجاريّة ومنشئنا العموميّة التي هي ضمان لنجاحنا المستقبل

القول السادس

يسرّني انهُ أُتيح لي منذ حداثتي ان امضي الى مشاهد التمثيل وارى تمثيل افضل الروايات وامهر الممثلين والممثلات . ولقد تسليت بذلك تسلية عظيمة . وعضدت التمثيل لاني احسبهُ عملاً شريفاً . وهل يخطر على بالنا ونحن نسرّ ونبتهج بما نراهُ ونسمعهُ في المشاهد ان الممثلين والممثلات يتعبون اشد التعب ويتجشمون اشد المشاق . وقد يحاول الواحد منهم اضحاك الحاضرين وتسليتهم واعن اقاربهِ مريض على فراش الموت . فهل يليق بنا ان نتركهم يتضورون جوعاً اذا لم يعودوا قادرين على التمثيل لسبب الشيخوخة كلاّ . ولهؤلاء الممثلين والممثلات الذين عجزوا عن التمثيل قد انشئت هذه الجمعيّة وجمعت لها الاموال .